سعيد الغرناطي يشير الي كتاب ابي الحسن الذي جمعه في محاسن المغرب وسماه المغرب ٥
سعد المغرب وازدهي الزهر عجبا • وابتهاجا بمغرب ابن سعيد • طلعت شمسه من الغرب تجلى
فاقلت قيامة التنقيد • لم يدع المورخين معا لا • لا ولا للرواة بيت نشيد
ان تلاه علي الحمام تغنت • ما علي ذاتي حسنه من مزيد • وانشدني ابو العباس التيفاشي لنفسه فيه
يا طيب الاصل والفرع الزكي كما • يبدو واجني ثمر من الطيب الشجر • ومن خلايقه مثل النسيم اذا
بهفوا علي الزهر حول النهر في السحر • ومن محياه والله الشهيد اذا • يبدو والي بصري ابهي من القمر
اثقلت ظهري ببر لا اقوم به • لو كنت اتلوع قرآنا ام السور • اهديت لي المغرب مجموعا بصالح
في قاب قوسين بين السمع والبصر • كانني الان قد شاهدت اجمعه • بكل من فيه من بدو ومن حضر
نعم ولاقيت اهل الفضل كلهم • في مدتي هذه والاعصر الاخر • ان كنت لم ارهم في الصدر من عمري
فقد رددت علي الصدر من عمري • وكنت لي واحدا فيهم جميعهم • ما يعجز الله جمع الخلق في بشر
جزيت افضل ما يجزي به بشر • مفيد عمر جديد الفضل مبتكر • انتهي ومن نظم ابي الحسن بن سعيد قوله
وعشية بلغت بنا ايدي النوي • منها محاسن جامعات للنخب • لحدايق ما بينه من جدول
وبلابل نوق الغصون لها طرب • والنخل امثال العرايس لبسها • خز وحليتها قلايد من ذهب
ومن نظمه رحمه الله في حلب قوله • حادي العيس كم تنيخ المطايا • سق فروحي من بعدهم في سياق
حلب انها مقر غرامي • ومرامي وقبلة الاشواق • لا خلا جوشق وبطياس والسعد
من كل وابل عندا ق • كم بها مرتع لطرف وقلب • فيه يسقي المني بكاس دهاق
وتغني طيوره لارتياح • وتثني غصونه للعناق • وعلو الشهباء حيث استدارت
انجم الافق حولها كالنطاق • وقوله ايضا في حماه • حمي الله من شطي حماة مناظرا
وقفت عليها السمع والفكر والطرفا • تغني حمام او تميل خمايل • وتزهي مبان تمنح الواصف الوصفا
يلوموني ان اعصي الصون والنهي • بها والطبع الكاس واللهو والقصفا • اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا
احاكيه عصيانا واشرب ها صرفا • واشدوا الدي تلك النواعير شدوها • واغلبها رقصا واشبهها غرفا
تئن وتذري دمعها فكانها • تهيم براها وتسالها العطفا • وقوله في وداع ابن عمه وكتب بها اليه
وداع كما ودعت فصل ربيع • بعثني ضلوعي او بفيض دموعي • لئن قيل في بعض يفارق بعضه
فاني قد فارقت منك جميعي • قال فارسل الي احسانا واعتذر • ولسان الحال ينشد عنه
احبك في البتول وفي ابيها • ولكني احبك من بعيد • وقوله وقد اقلعت المركب
الذي كان فيه من العدو • انظر الي مركبنا منقذا • من العدا من بعد احراز
اقلت منهم فغدا طايرا • كطاير افلت من باز • وقال رحمه الله لما خرج من
رفيقي جاوزنا حدود مواطن • صحبنا بها الايام طلقا محياها • وما ان تركناها لجهل بقدرها
ولكن ثنت عنا اعنة سعيها • نسرنا نحث السير عنها لغيرها • الي ان يمن الله يوما بلقياها
وكان وصول الاسكندرية في السابع والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وستماية وقال رحمه الله تعالى
اعتذت مع والدي يوما في اختلاف مذاهب الناس وانهم لا يسلمون لاحد في اختياره فقال مني طلبت ان يسلم لك احد في هذا
التاليف اعني المغرب ولا تعترض انعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرك وانا اضرب لك مثلا على ان رجلا
من عقلاء الناس كان له ولد فقال يوما يا ابي ما للناس ينتقدون عليك اشياء وانت عاقل ولو سعيت في مجانبتها
سلمت من نقدهم فقال له يا بني انك غر لم تجرب الامور وان رضى الناس غاية لا تدرك وانا اوقفك على حقيقة ذلك
وكان عنده حمار فقال له اركب هذا الحمار وانا اتبعك ماشيا فبينما هما كذلك اذ قال شخص انظر ما اقل هذا الغلام بادب
يركب ويمشي ابوه وانظر ما اشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا فقال له انزل اركب انا وامش انت خلفي فقال شخص
اخر انظر هذا الشخص ما اقل شفقته ركب وترك ابنه يمشي فقال له اركب معي فقال شخص اشقاهما الله انظر كيف
ركبا علي الحمار وكان في واحد منهما كفاية فقال له انزل وقدماه وليس عليه راكب فقال شخص لا خفف الله عنهما
انظر كيف تركا الحمار فارغا وجعلا يمشيان خلفه فقال يا بني سمعت كلامهم وعلمت ان احدا لا يسلم من اعتراض
الناس علي اي حالة كان وقال في اثناء خطبة المغرب ما نصه والحمد لله الذي جعل الادب • افضل ما اكتسب
وافضل ما انتخب • اذ هو ذخر لا يخاف كساده • وكنز لا يخشى انتقاصه وان كثر نفاده • ولله در القايل
رايت جميع الكتب بفقد الغني • ويبقي له اخلاقه والتادب • اذا حل في ارض اقام لنفسه
بادابه قدرا به يتكسب • وادرما كل مخبوء ولعله • الي غير اهل النباهة ينسب
وقال في اثناء الكلام لبعض المغاربة • لانت في كل الخواطر همة • الي طلب العلم الذي هو مطرح
وصيرت من قد كان بالنظم جاهلا • يحاول ركبا يجود لك المدح ٥ وقال ايضا في الخطبة وبعد
فهذا كتاب راحة وقد تعبت في الاسماع والابصار والافكار وكل عيني سهل اذا انجح القصد اوقد بدي فيه من
سنة ثلاثين وخمسماية ومنتهاه الي غرة سنة احدي واربعين وستماية قال واول من كان السبب في
ابتداء هذا الكتاب جد والدي عبد الملك بن سعيد وهو اذ ذاك صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي
ابن يوسف بن تاشفين امير المسلمين ملك البربر الي ان استبد بها سنة تسع وثلاثين وخمسماية وقصد
في سنة ثلاثين وخمسماية حافظ الاندلس ابو محمد عبد الله بن ابراهيم ابن الحجاري وصنف له كتاب المسهب
في غرايب المغرب في نحو ستة اسفار وابتدا فيه من فتح الاندلس الي التاريخ الذي ابتداه فيه وهو سنة ثلاثين

وخمساية

وخمساية ثم تمادي فحاول عبد الملك ان يضيف اليه ما اغفله الحجاري ونو لم يعطا لعنه ابناه ابو جعفر محمد
واضافا له ما استفاداه ولم يزل يزيد الي ان استبد به محمد فاعتني به اشد اعتنا ثم استبد به والدي وكان
اعلمهم بهذا الشان وبلغ من اجتهاده في هذا الكتاب انني اذكر يوما وقد دخل به ابن هود وهو ملك الاندلس
وولاه الجزيرة الخضراء فاعلمه شخص ان عند احد المنسوبين الي بيت نباهة كراريس من شعر شعرايها واخبار
روسايها الذين تحتوي عليهم دولة بني عبد المومن فارسل اليه راغبا في استعارتها فاتي وقال علي يمين ان لا يخرج
من منزلي وقال ان كانت له حاجة ياتي علي راسه وكان جاهلا فلما سمع والدي ضحك فقال اني امشي اليه ولكن
امشي للفضلاء الذين تضمنت الكراريس اشعارهم واخبارهم اتراهم لو كانوا احياء مجتمعين في موضع اانف ان امشي
اليهم قلت لا قال فان الاثر ينوب عن العين فمشينا الي منزل الرجل فوالله ما انصفنا في اللقاء فلما قضينا
منها الغرض صرفها والدي اليه وشكره وقال هذه فايدة لم اجدها عند غيرك فجزاك الله خيرا ثم انفصل
وقال الم تعلم يا بني اني سررت بهذه الفايدة اكثر من الولاية وان هذا والله اول السعادة ومن نجابتها القلعة
التي كان بها بنو سعيد تعرف بهم فيقال لها قلعة بني سعيد وكانت تعرف قبل بقلعة اسطلير وهو عين لها
وقال الملاحي في تاريخ انها تعرف بقلعة يحصب قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الاندلس وبها كان صنف
الحجاري كتابه المسهب لصاحبها عبد الملك بن سعيد وفي بني سعيد يقول الحجاري ٥ قوم لهم في فخرهم
شرف الحديث مع القديم • ورثوا الندي والباس والعليا كريما عن كريم • من كل وضاح به • يجلي دجي الليل البهيم
وكان اول من دخل الاندلس من ولد عمار بن ياسر رضي الله عنه عبد الله بن سعد بن عثمان وقد ذكره ابن حيان
في مقتبسه واخبر ان يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب الاندلس اخر دولة بني امية بالمشرق كتب اليه ان
يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني الداخل للاندلس وكان اوذاك اميرا علي اليمانية من جند دمشق والماركني
اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني امية من الثار بسبب قتل عمار بصفين علي يد عسكر معاوية رضي الله عنه
وكان عمار من شيعة علي رضي الله عنهما وقال الحجاري انشدني ابو بكر محمد بن سعيد صاحب اعمال غرناطة في مدح
المتمنين لنفسه فيما يليق بجنسه ٥ ان لم اكن للعلا اهلا • بما تراه فمن يكون • وكلما استفيد دوني
ولي علي همتي ديون • ومن يرم ما يقل عنه • فذاك من فعله جنون • نزع بانفي السما سام • واصله راسخ مكين
ومن نظمه قوله ايضا • الله اعلم اني • احب كسب المعالي • وانما انواني • منها السوي المال
محتاج للكد والبذ • ل واصطناع الرجال • دع كل ما شاة يسمو • لها بكل احتيال • فحالهم بانعكاس
فيها وحالي حالي ٥ ولما ذكر ابن سعيد في المغرب ترجمة الرايس الكاتب المجيد ابي العباس احمد الغساني
كاتب ملك افريقية قال بما ذا اصفه ولو ان النجوم تصير لي نثرا ما كنت انصفه وكذلك اني اخبرت
الفضلاء من البحر المحيط الي حضرة القاهرة فما رايت احسن ولا افضل عشرة منه ولما فارقته لم اشعر الا برسالته
قد وافتني بالاسكندرية من تونس وفيها قصيدة زيدة منها ٥ ايه ابا الحسن استمع شذوي نعقد
بعضي احمام اذا الحمام ترنما • ثم سرح بعضا من القصيدة وستاتي قريبا ان شاء الله بزيادة علي ما ذكر منها
في المغرب رجع وجد بخطه رحمه الله تعالى اخر الجزو من كتاب المغرب ما نصه اجزت للشيخ القاضي
الاجل ابي الفضل احمد ابن الشيخ القاضي ابي يعقوب التيفاشي ان يروي عني مصنفي هذا وهو المغرب في المغرب ويرويه
من شاء ثقة بفهمه واستنامة الي علمه وكذلك اجزت لفتاه النبيه جمال الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن
خطلخ الفارسي الارموي ان يرويه عني ويرويه من شاء وكتب مصنفه علي بن موسي بن موسي محمد بن عبد الملك
ابن سعيد في تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر انتهي وقال في وسيم من ابناء العجم صحبه في الطريق من حلب
الي بغداد قال وكان ظريفا اديبا ٥ • لهفي علي غصن ذوي • انفذته لما استوي
ريان من ماء الصبا • ومن المدامع ما ارتوي • لا انقذ لولي ان نطقت الدهر فيه عن الهوي
كم مثل صاحبه بصحبه اللفظ منه وكم غوي • انا لا افيق الدهر فيه من الصبابة والجوي
ان الهوي حيا وميتا لا يزال به سوي • كم قد نويت به النعيم فقد رد الله النوي
دار السلام من كل المحاسن قد حوي • مجموع حسن قد ثوي • في جنة وبها ثوي
وولد ابو الحسن علي بن موسي يوم الثلاثا الثاني والعشرين من شهر رمضان عام عشرة وستماية
وهو علي بن موسي بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن
عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله عنه وقال في المغرب لما عرف بوالده الكاتب الشهير
ابي عمران موسي بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ما محصله لولا انه والدي لاطنبت في ذكره • ووفيته من الوصف حق
قدره • لكن كفاه وصفا ما اثبته له في هذه الترجمة وما مر له ويمر في اثناء هذا الكتاب وكونه كل من اشتغل بهذا
التاليف نهرا وهو بحر واشتهاره في حفظ التاريخ والاعتناء بالاداب في بلاده بحيث لا يحتاج الي تنبيه ولا
اطناب • وله من النظم والنثر ما تنسخ الاقلام من كثرته • ويستمد الفطن من دونه • ومما شاهدته من مجاهدته انه
عاش سبعا وستين سنة ولم اره يوما يخلي مطالعة كتاب او كتب ما يخلد حتي ايام الاعياد لا يخليها من ذلك
ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب فقلت له يا سيدي في هذا اليوم لا تستريح فنظر الي كالمغضب
وقال الطفل لا تفلح ابدا اتري الراحة في غير هذا والله لا احب راحة تبلغ مبلغها ولوددت ان الله يفنا عمري
حتي اتم كتاب المغرب علي غرضي قال فانا ذلك في خاطري ان مرت مثله لا التذ بنعيم غير ما التذ به من هذا الشان وكا
ذلك مابلغ هذا التاليف الي ما تراه وكان اولع الناس بالتجول في البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يري ويسمع
وفي تولعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول

Copyright King Saud University